126204 ـ وقفات مع كتب ودورات " تطوير الذات " ومثيلاتها

السؤال

ما حكم اقتناء أو قراءة الكتب التي تُعنى بمواضيع " تطوير الشخصية " و " رفع الثقة بالنفس " و " قواعد السلوك " ، وغيرها ، علماً أن بعض هذه الكتب يحتوي على بعض التمارين التي يُطلب من القارئ أن يتبعها لتطوير مهارة محددة ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولاً:

ثمة اختلاف بين الكتب المؤلفة في " تطوير الذات " و " قواعد السلوك " و " فن الإدارة " وما يشبهها وبين الكتب المتعلقة بـ " البرمجة العصبية " ، والثانية فيها من المبالغات والمخالفات ، ما استحق التحذير منها بالكلية ، وأما الكتب المتعلقة بالمواضيع الأولى : فإنها تحتوي على سلبيات ، وإيجابيات

، ونذكر أولاً أنه قد صدر كتاب في " أميركا " – مصدر الكتب المؤلفة في تلك المواضيع – يفضح هذه الفكرة ، ويبين عوارها ، ويأتي بالأدلة الدامغة على فشلها ، والكتاب صدر في عام 2005 م ويحمل عنوانًا طريفًا كاشفًا -SHAM: How the Self Help Movement Made America Helpless ، وترجمته : " كيف صيرتْ حركةُ مساعدة الذات أمريكا عاجزة " ، والمؤلف هو الكاتب الصحفي المعروف " ستيف ساليرنو " Steve Salerno ، وقد عرضت مجلة " المعرفة " تقريراً عن الكتاب ، وسيتم الإحالة على بعض مواضع منه ، ويتم الإحالة على التقرير كاملاً .

ثانياً:

أما ما يوجد من ملاحظات سلبية على تلك الكتب :

1. أنها بمثابة مخدِّر ليتم الإدمان على شرائها ، وليس لها واقع عملي ملموس ، لا في أغلب حياة أفراد المجتمع ، ولا في الدول نفسها .

جاء في تقرير كتاب " ستيف ساليرنو " :

والكاتب يلخص وجهة نظره في سؤال ذكي هو : إذا كانت هذه الكتب تساعد الناس ـ كما يزعم مؤلفوها ـ على الارتقاء ، والاستغلال الأمثل لطاقاتهم الجسمية والعقلية ، وإذا كانت هذه الدورات تأخذ بأيديهم إلى السعادة ، وتوفر لهم الحلول لمشاكلهم : فلماذا ما زالوا يصطفون في طوابير لشراء آخر ما يصدر من كتب تطوير الذات ؟ ولماذا يواصلون حضور هذه الدورات ؟ أليس من المفترض أنهم قد أفادوا من هذا الكتاب وتعلموا من ذاك المتحدث ؟ فلماذا هذا السعي المحموم لالتهام ما تقذف به المطابع من جديد الكتب ؟ ألم يحفظوا عن ظهر قلب وصفة النجاح ، وينتقلوا إلى المحطة التالية ، حيث النجاح

والسعادة ؟ .

انتهى

http://www.alfowz.com/index.php?option=com_content&task=view&id=105&Itemid=2

والمقال حري بالقراءة فيه تلخيص نافع للكتاب .

وللأسف فإن هذا هو الواقع عندنا في عالمنا العربي والإسلامي ، فدروة في إثر دورة ، وكتاب يعقبه كتاب ، والقراء هم القراء ، ولا نرى أثر تلك الدورات والكتب على المجتمع بأفراده وأسَره ، بينما نرى النجاح الملموس ـ بفضل الله ـ للدعاة على المنابر ، والعلماء على الفضائيات ، ونرى أثر كلامهم في تغيير حياة الناس إلى الأفضل ، وتصحيح اعتقاداتهم للحق والصواب .

2. أغلب مؤلفي هذه الكتب هم – في الأصل ـ من الكفار ، وهي مترجمة بالعربية ، ولا شك أن اختلاف الدين والثقافة والسلوك ، يظهر في تلك الكتب في أصلها ، وفي ترجمتها .

ويظهر أثر ذلك في مواضع :

1. الخلل في الترجمة ، وعدم إعطاء النص الأصلي عمقه وقوته إن كان الكلام فيه صواب ، فتجد المبالغة والتهويل في النص العربي .

2. يستشهد مؤلفو تلك الكتب بأقوالٍ لكفارٍ مثلهم ، ومع كثرة القراءة لهم ، وقراءة تعظيمهم والثناء عليهم : يتحول أمثال أولئك إلى رموز وقدوات ، تحفظ مقولاتهم وتردد ، وتكون منطلقاً لفهم الحياة ، والتعامل مع الآخرين .

3. ترك الكتاب كما هو ، بما يحوي من خلل شرعي ومخالفات ، ومن أمثلته :

أ. كتاب " مئة سر بسيط من أسرار السعداء " من تأليف " ديفيد نيفن " ، تعريب : ابتسام الخضراء فيه قوله :

" زيادة العوامل المشتركة بين الزوجين يزيد السعادة الزوجية ، ويُذكر أن هناك زوجين جدَّدا عهد زواجهما على ارتفاع ثلاثة آلاف قدم ! قبل خروجهما من الطائرة لرياضة القفز بالمظلات ، تشاركهما لهذه الرياضة جعلهما يتشاركان السعادة مع بعض ، فزادت سعادتهما من بعضهما ، وسبحان الله السعادة من الأشياء القليلة جدّاً التي تزيد بالمشاركة ، والشكر لله على ذلك " ! .

انتهى

فانظر لهذا التعليم ، وهذا المثال ، وانظر كم فيه من مخالفة للشرع .

ب. كتاب " كيف تكسب الأصدقاء وتؤثر في الناس " لمؤلفه " ديل كارنيجي " .

وكلمة " الأصدقاء " تشمل الذكور والإناث ! وعلى غلاف الكتاب – الطبعة العربية التي رأيناها – صورة لمجموعة رجال ونساء ، تعبيراً عن النجاح الذي سيحققه قارئ الكتاب .

وفي الكتاب :

ـ فصل " امنح الكلب اسماً محبَّباً " !!

ـ وفي التقدمة له ذُكر أن المؤلف كان " يُطعم الخنازير " التي كان يربي والده فصيلاً أصيلاً منها ، ثم عمل بائعاً للحم الخنزير المدخَّن !!

4. البُعد عن العلاج الديني للقلق ، والكآبة ، وعدم ذِكر الاعتماد على الله ، والتوكل عليه ، وتعظيم النفس وحدها أنها هي التي تفجر الطاقات ، وتخرج كوامنها ، وهذه السلبية مشتركة مع " البرمجة العصبية " .

سئل الدكتور عبد الغني مليباري – حفظه الله ـ :

الكثير علق فشلها على فشل ديل كارنيجي صاحب كتب " دع القلق " ، و " كيف تكسب الأصدقاء " الذي مات منتحراً ! كيف تربط ذلك الفشل بالبرمجة ؟ .

فأجاب :

الفارق بين ما قدمه " ديل كارنيجي " وبين ما تقدمه البرمجة كبير جدّاً ، من حيث الصحة ، فـ " ديل كارنيجي " قدّم كثيراً من الأفكار المستنبطة بالعقل والنظر ، ولكنها ليست كفيلة أبداً بمنح صاحبها سعادة وطمأنينة ، ما لم تخالط بشاشة الإيمان قلبه ، ومن هنا فالذي : يربط بينهما ربما باعتبار أنه لا يصلح أن يكون الحائر الضال مرشداً ومدرَّباً في أمور القلوب ، وتزكية النفوس ، وصدق ابن مسعود رضي الله عنه إذ قال : " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء إنهم لن يهدوكم وقد ضلوا " ، فكيف يهتدي المسترشد والدليل حائر ؟!

" المجلة العربية " ، عدد رقم (322) ، السنة 28 ، تاريخ ذو القعدة 1424 هـ .

وصدق الشاعر العربي إذ يقول :

أَعمى يَقودُ بَصيراً لا أَبا لَكُمُ قَد ضَلَّ مَن كانَتِ العُميانُ تَهديهِ

5. تحمل تلك الكتب عناوين برَّاقة ، خادعة ، من أجل الكسب المادي في شرائها ، مثل " التطوير الذاتي والنجاح السريع " ، " أيقظ العملاق داخلك " ، و " تعلم الاستثمار في خمس دقائق " ! ، و " قدرات غير محدودة " ، و " الحمية السريعة " ، و " كيف تسيطر على الآخرين " .

وفي داخلها ، أو على أغلفتها يُكتب : " انتبه ، هذا الكتاب سيغيّر مجرى حياتك " ، " لقد غيَّر هذا الكتاب على وجه التحديد حياة ملايين الأشخاص حول العالم بعد أن كانوا من المهمشين الضائعين في عالمنا " .

وليس يراد من ذلك إلا إغراء السذَّج من الناس للإقبال على شراء تلك الكتب ، حتى إنه ليعتقد أنه إن لم يفعل ليكونن من الفاشلين .

قال " ستيف ساليرنو " :

" ما زال يُضخ سنويّاً عددٌ هائل من الكتب في هذا المجال ، ففي عام 2003 م فقط : صدر ما بين 3500 و 4000 كتاب من كتب " المساعدة الذاتية " ! ، أي : أكثر من عشرة كتب يوميّاً ، أليس هذا عددًا هائلًا من الكتب التي تصدر في فرع واحد ؟! بل وفقًا لـ " ماركتداتا إنتربرايزيز " Marketdata تمثل اليوم حركة تطوير الذات بكل أشكالها تجارة تبلغ 8.56 بليون دولار ! ، وقد كانت لا تزيد عن 5.7 بليون دولار عام 2000 م ، وتتوقع " ماركتداتا " أن تبلغ 12 بليون دولار عام 2008 م ، وهكذا لم يعد من المستغرب أن نجد أتباع هذه الحركة ومريديها يخزنون هذه الكتب في مكتبات المنزل ، وخزائن المطبخ ، وحقائب الرياضة ، حتى في السرير ؛ لتضمن لقرائها أحلاماً سعيدة ، قد يلتقون فيها مع الدكتور " فيل " ! أو " أنتوني روبينز " في مملكة السعادة الأرضية ، حيث لا همّ ، ولا نصب " ! .

انتهى

وقد اعتقد بعضهم أن النجاح هو في اقتناء تلك الكتب ! لا في تطبيقها في واقع الحياة ، فصار التنافس بينهم على شراء الجديد ، والسبق في القراءة دون التطبيق .

6. النظريات المبثوثة في تلك الكتب قائمة على المادية المجردة من الحياة ، والدِّين ، مثل : تقنيات الإدارة التي تؤصل لعبودية المرؤوسين للرؤساء ، والموظفين للمدراء ، أو مثل وسائل الإقناع والتأثير على الآخرين ، والتي ينتج عنها التغرير بالمستهلكين للشراء ، أو البيع ، أو التأجير .

7. تحويل الدورات لتجارة ، بأخذ مبالغ كبيرة ، وعدم إتقان العمل ؛ بسبب بذل قليل من الوقت ، وعدم قيام أكفاء على إعطائها .

8. إدخال البرمجة العصبية فيها ، بتكرار جملة معينة ، أو مخاطبة اللاوعي ! والاسترخاء .

قالت الدكتورة فوز كردي – حفظها الله – تخاطب سائلة عن دورات " تطوير الذات " :

لأهمية التدريب : تصدَّى له كثيرون تجارةً ، فتري ـ وللأسف ـ دورة " القبعات الست " و " الذكاءات الثمانية " ، و " الخرائط الذهنية " ، وغيرها من الدورات الجيدة قد أصبحت عندما قدمها المبرمجون وجهاً جديداً للبرمجة ، ومفاهيم اللاوعي والاسترخاء والتنويم ، وغيرها ، كما أنها مختصرة ، وسريعة ، لا تدرب على مهارة ، ولا تتوجه لأهداف تنمية التفكير والتربية .

ومن هنا : أرى المسؤولية تتضاعف على المسؤولين ـ أمثالكم ـ لفحص محتوى الدورة ، وسيرة المدرب ، فلا يعطي دورة إلا من هو متخصص في مجالها ، مشهود له بذلك عند أهل التخصص ، لا عند الحضور الأغرار ، الذين يصفقون لأي مدرب ، ويسطرون شهادتهم له بالإبداع و... و... .

وانظري إلى المستشفيات : لن تجدي المجال مفتوحاً لكل من يزعم أنه يعالج ، فلم نسمح نحن لجميع الأدعياء بأن يخترقوا ساحة التربية والتعليم ، ويتصدروا ليدربوا المعلمين والمعلمات ، والمشرفين والمشرفات ، غير ناظرين في تخصصاتهم ، وصحة ما يدَّعون من شهادات ، أو إجازات ، ونحوه .

http://www.alfowz.com/index.php?option=com_content&task=view&id=89&Itemid=2

وأخيراً :

انظر النقد العلمي لأشهر كتاب في تلك المواضيع ، وهو كتاب " السر وقانون الجذب " ، وذلك في جواب السؤال رقم (112043) .

ثالثاً:

أما الملاحظات الإيجابية : فنرى أنها قليلة في كتب الكفار ؛ بسبب اعتقادهم ، ومنهجهم في الحياة ، وبسبب سلوكهم ، ونرى أنه يمكن الاستفادة من كتب الدعاة ، وطلبة العلم في هذا الباب ، ممن عرفوا بحسن المعتقد ، وصواب المنهج ، لا أولئك المقلدة للغرب ، والمنبهرين بكتاباتهم .

والله الموفق